

من مشاهد التحصين
في قم البركان
(من الاسترايون «)

عدن

الفردوس الغابر

بقلم فؤاد افحام البستاني

« ليس بين مناخ عدن وحرارة الجحيم إلا سماكة ورقة وقيقة. »¹⁾
لا عجب ان ينسب الرحالة بنت الى الجحيم تلك الحرارة القوية الرطبة التي
تأخذ بجناح المسافر ، اذا ما جال في طرق عدن اللاهية ، فيصف خياشبه هراؤها
اللانح ، ويهت عييه مناظرها الجرداء. تتناوبها الألوان القاسية من الأحمر الناري

في الجبال ، الى الازرق الرشح في البحر ، الى الأكدر الرصاصي في البها . ؛ لا تلتأفها خضرة لينة ، ولا يفلت حدتها ضباب رطب .

لا عجب ان ينسبها الى الجحيم ، وقد سبقته الاساطير العربية الى مسخ عدن عن الفردوس الإرضي . كانت تلك الجنة باسقة الاشجار ، متلاعبة الأنهار ، وارفة الظلال ، عذبة المتيل والمنام ، ينعم فيها الانسان الاول في راحة وادعة . حتى يخطئ خطيئته الاولى . واذا به يطرد من عدنه طرداً ابدياً ، واذا بالفردوس يُمسخ عدن الحالية .

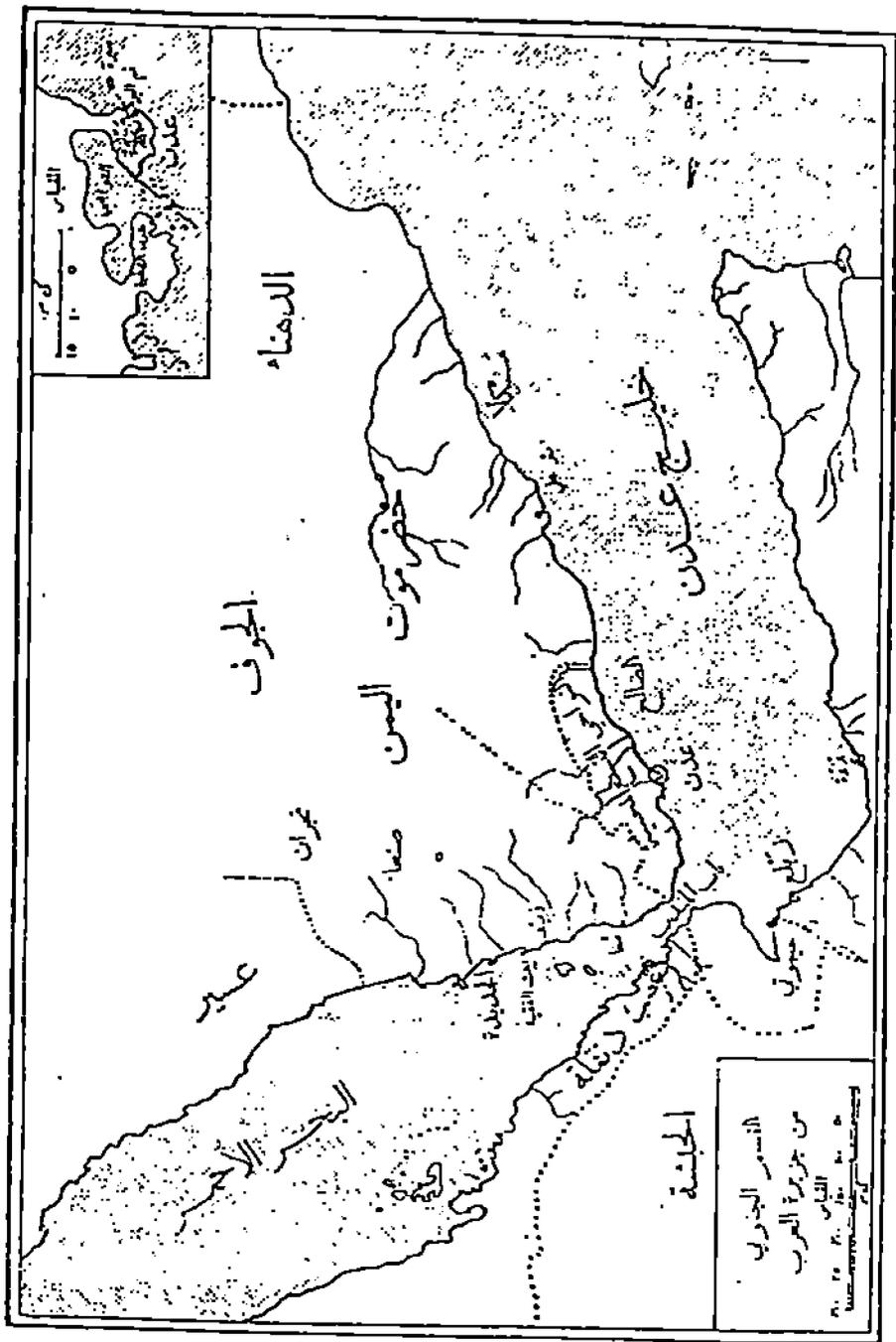
وتتوالى الاحداث الفاجعة على عدن . فيُدفن فيها قاين ، او قابيل ، في احد كهوف الجبل ، بين التواهي وفم البركان . ثم تُصبح موطناً لقوم عاد ، على ما ورد في اقوال بعض الرواة . ويرسل اليهم النبي هود . فيعرضون عن تعاليمه . فيستمين عليهم بالحواصب والقواصف . واذا بفريق منهم تهلكهم السموم ، وبالفريق الآخر يُمسخون قروداً يرحون في الجبال القريبة من عدن . ولا يزال حنقهم ياهلونها الى اليوم .^(١) ولن يزالوا فيها حتى يشور البركان ثورته الاخيرة فيفتح طريق الجحيم ، معلناً للسلا ابتداء اليوم الآخر

وكان ذكرى القروود هذه حاجت مخيلة أبر لوندرا ، فاستغرب ان لا يرى الشياطين تتواتب في تلك القسم الجحيمية المناظر ، فتتناول المتمدنين باسنة النكال ، وترمي بهم في المراحل الجائشة .^(٢)

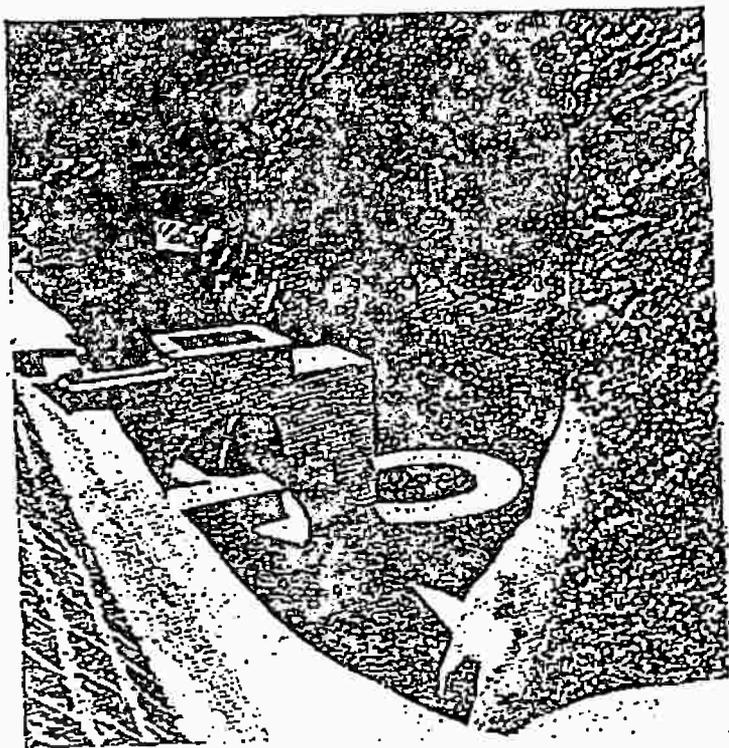
بيد ان هذا المنظر الرائع وحشة وجفاء رنت ملكة سبا ، في اساطير القديسا . فشامت ان تعيد اليه الحياة . وأمرت بصنع اسداد حائنة لا يزال عليها الآثار يجارلون تأريخها علبياً ، فتضطرب تقديراتهم على مدة الف سنة ، بين القرن الخامس عشر والقرن الخامس ق . م . ولا يتفقون الا على الاعجاب بها إعجابهم بأثر من اروغ الآثار الهندسية في العالم . تنتصب تلك الاسداد في مضيق متحدر ، وتنفذ الى الجبلين ، محورها بعضها في الصخور . وتندرج هابطة الواحد تحت الثاني .

(١) D' Van der Meulen, *National Geographic Magazine*, 1932.

(٢) Albert Londres cité dans *L'Illustration*, 21 septembre 1940, p. 69.



حتى اذا امتلأ الخوض الاعلى صبّ فضله في التالي . وهكذا حتى الحزبان الاخير
القائم في سفح الجبلين . على انها ، لفرط سعتها — وهي تسرع ب ٨٠ مليون غالون



نظر بعض الاسداد . (من الالوستراسيرن)

من الماء — ولقاة الامطار في تلك المنطقة ، لا تكاد تمتلي الا مرة او مرتين
في كل بضع سنين .^(١)

٥

محاولة جبارة قامت بها ملكة سبا . ولكنها لم تفلح في اعادة القردوس
المفقود . فظلت عدن ملتحقة بجفانها اليانس ، لا يراوح غصن اخضر في موانها
البركاني ، ولا ينبسط سرعى في شعابها القائمة ؛ ولا ينساب جدول يتبع
غلة اهلها ؛ ولا تعرف في جوارها الرصابي اجنحة غريد ، الا ما كان من

(١) راجع ، في وصف هذه الاسداد ، امين الريماني : ملوك العرب (الطبعة الثانية) ١ : ٢٤٤

كواثر العقبان، ونواعق الترابان؛ يضاف تدويمها الدوائر السود في تلك الحرات
اللاهبة. حتى لو شامت إحدى الجوفات التشيلية ان تعرض رواية مكبت
لكبير، لعجزت عن إخراجها على مسارح عدن. ذلك ان في الرواية الشهيرة
مشهداً تتقدم فيه جنود ملكولم، وقد استتر كل منهم بنصن من الشجر، فخفي
سروعم على انظار المراقبين. وامن الاغصان في عدن^(١)

بيد ان هذا الجذب لم يمنع بعض ارباب الشعر—واعذب الشعر اكذبها—
من التفرغ برياض عدن وحدائقها؛ وكانهم يتصورونها في عهد فردوسها
الارضى، او يملونها كما يشاء. نبياهم. قال ابو بكر احمد بن محمد العيدي:
حياك، يا عدن، الحيا حياك! وجرى رضاب لامة فوق كلك،
واقترت شر الروض فيك، خاجاً بالنشر، دونق شره الضحاك؛
ووثت حدائنه عليك مطارفاً يختال في حبراعسا عطفاك!^(٢)

اما الاسداد فطهرتها المصور المتماقبة، حتى اعاد الانكليز حفرها ورتبوا

سنة ١٨٥٦.



وتدخل عدن في ضوء التاريخ منذ العهد الفنيقي، فتعرف بكونها من
المناطق المتجرعة مع صور «بالانسجة الفاخرة، بارديفة من السمنجوني والرشي،
وبالنفائس من الثياب المبرمة المشدودة بالجليك المنكومة بين بضائع صور»^(٣)
كما يُنتج من رنا- حزقيال للمدينة الفنيقة العظيمة^(٤)، ومن تعاليت دوسر
على هذا الرثاء.^(٥)

ثم يظهر اليونان والرومان على مسرح العالم، فيدركون اهمية موقعها التجاري،

(١) راجع ما يورده بنا في روايته الاخيرة، Pierre Benoit, *Les environs d'Aden*,

1940, p. 184.

(٢) باقوت: معجم البلدان (Wüstenfeld) ٦٢٢:٣ - وفيه تصحيفات اصلحناها.

(٣) نبوة حزقيال ٣٧: ٢٤.

(٤) نبوة حزقيال ٣٧: ٢٤ - ويرد اسمها في الترجمة العربية اليسوعية بمصيبة «عادان»

(٥) René Dussaud, *Les Phéniciens au Négeb et en Arabie d'après un texte*

de Ras Shamra. [Revue de l'Histoire des Religions, CVIII, 1, Juillet-Août 1933,

p. 47-48.]

قروورها مراكبهم ناقلة بضائع الهند ، وفارس ، وبلاد العرب ؛ ويدعونها « أدنه »
 او « أئنه » . ولا يلبث الزوار ان يحتلوا في جملة ما احتلوه من سواحل
 العرب .^{١١}

اما التاريخ العربي القديم ، فقد كان لما فيه النصيب الوافر . دخل اسمها في
 احداث العرب الاقتصادية ، كما دخل في اساطيرهم . وهم يُجمعون على انها اقدم
 اسواقهم تحفل بالمصانع والمناسج ، وتستقبل تجارة الهند منذ القدم^{١٢} فتفرق
 بضائهم ومنسوجاتهم حتى اطراف الحجاز وبطائع نجد . وتعرض الثياب « المدنية »
 في سوق عكاظ^{١٣} ، فيتنافس السادة في الحصرل عليها .

على ان علماءهم وغربوا في شرح اسمها ، رغبتهم في شرح كل شيء . فقال
 الطبري : « سُتيت » عدن « و « آبين » بادن وأبين ابني عدنان . « وقال ابن
 الكلبي : « سُتيت عدن بَعْدَن بن سنان بن نفيشان بن ابرهيم » وقال اهل السير :
 « سبت بَعْدَن بن سنان بن ابرهيم . » ويميل عبد المنعم الى شرح اسمها
 شرحاً لغوياً ، فيقول عن وهب « ان الحبشة عبرت في سفنهم فخرجوا في عدن ،
 فقالوا : عدونا ، فسبت عدن بذلك وتفسيره : خرجنا . » اما ياقوت فلا يلتحق
 بالحبشة في شرحه اللغوي ، بل يكتفي بالبرية ، فيقول : « عدن . . . من قولهم :
 عدن بالمكان ، اذا اتام به ، وبذلك سبت عدن . » وهو يسترب شرح الطبري
 المتقدم ، فيقول : « وهذا عجب لم أر اسداً ذكر أن عدنان كان له ولد اسمه عدن
 غير ما ورد في هذا الموضع . »^{١٤} وما كان احراه باستغراب سائر ما ورد من
 الشروح والتفسيرات

وينتشر الاسلام في اطراف الجزيرة ، فيعين النبي على عدن حاكماً خاصاً
 هو ابو موسى الأشعري .^{١٥} ولكن لا يلبث تاريخها ان يندمج بتاريخ اليمن مبدية

١١ Lammens, *La Mecque à la veille de l'hégire*, p. 240. (١)

١٢ جغرافية القديسي : ١٧ ، ١٦٥

١٣ الاغانى : ٣ : ١٠٥ : ١٩ : ٧٥ ؛ ابن هشام : البرية : ٢٨٢ ؛ ابن الاثير : النهاية : ١ : ١٧٣

١٤ ياقوت : الكتاب المذكور : ٣ : ٦٢١ - ٦٢٢

١٥ ابن الاثير : امد النابة : ٣ : ٢٤٦

المصور الطويلة. حتى يبرغ القرن الماشر للمسيح فيؤسس فيها الزيدون ، او بنو زياد ، سنة ٩١٦ دولة مستقلة لا تترك ما يذكر من الآثار .

وبعد ذلك بنحو مائة سنة ، يملكها بنو من اصحاب كنج ، وأبين ، والشهر ، وحضرموت . فلا تدوم سلطتهم طويلاً .

ومخلفهم بنو الكرم ، يناولون حكم المنطقة من المكرم الصليحي ، صاحب صنعا . ومن بني الكرم ينشأ الزرعيون الاسماعيليون ، فينادون باستقلالهم التام سنة ١١٢٥ . ويتوالى منهم اربعة عشر اميراً في نحو تسعين سنة يحكمون المدينة اثنين اثنين في العهد الاول ، ثم فرداً فرداً حتى السنة ١١٧٤^(١) ، فيزحف عليهم طوران شاه الايوبي ، اخر صلاح الدين ، ويقضي على دولتهم ، كما قضى اخره على دولة الناطيين التي كانت تعطف على امراء عدن لصلتهم الدينية بها . ولم تكن الدولة الايوبية طويلة الحياة في عدن ، فانقضت في السنة ١٢٢٨ .

فدخلت عدن في حكم الرسولين ، ملوك اليمن . وقد شادوا دولة قوية عاشت اكثر من مائتي سنة ، تعاقب فيها ثلاثة عشر ملكاً مستقلاً اولهم الملك المنصور نور الدين عمر الاول (١٢٢٨-١٢٥٠) واترهم الملك المنظر يرف (١٢٤٢-١٢٤٣) . وبعد وفاته تراجم على الملك اربعة من الرسولين هم :

(١) هذا ما وقفنا عليه من تسلسل هؤلاء الامراء :

١ البأس ١٠٨٣ - ؟ يحكم مع مسود ١٠٨٣ - ١١١٠ وما اللذان عيشنا المكرم الصليحي .

٢ ذريح ١٠٨٧ - ؟ يحكم مع ابي النارات

٣ ابر السود يحكم مع محمد

٤ با ١١٣٨ - يحكم مع علي ١١٣٨ - ١١٣٨ خلا ، ولم يلبث با ان توفي .

٥ الاعز المرضى ١١٣٨ - ١١٣٩

٦ محمد المظم ١١٣٩ - ١١٥٣

٧ عمران المكرم ١١٥٣ - ١١٦٤

٨ محمد ١١٦٤ - ١١٧٣

٩ ابر السود ١١٧٣ - ١١٧٣

١٠ مسود ١١٧٣ - ١١٧٤

المفضل محمد، والناصر عبدالله تنازعا العرش منذ السنة ١١٤٣، ثم الممؤد تادى بنفسه ملكاً سنة ١١٥٠، واختيراً المؤيد الحسين ادعى الملك سنة ١١٥١^{١١}.
ودام التنازع حتى السنة ١١٥٤، وفيها استولى الطاهريون على عدن، فأضافوها الى زبيد، وقضوا على سيادة الرسولين.

وعلى عهد الملك الخامس من الرسولين، وهو المجاهد نور الدين علي (١٣٢٢-١٣٦٣)، وصل ابن بطرطة الى بلاد اليمن، فزار السلطان في عاصته، وكانت تميز، لا صنعا، وأشار الى الغرابة في كيفية السلام عليه، قال: «فلما كان في اليوم الرابع، وهو يوم الخميس، وفيه يجلس السلطان لعامة الناس، دخل بي عليه. فلتمت عليه. وكيفية السلام عليه ان يمس الانسان الارض بسببته ثم يرفها الى رأسه، ويقول: ادام الله عزك»^{١٢} ثم وصف جلوسه للناس،

(١) هذه سلسلة ملوك الرسولين :

١ -	التصور عمر الأول	١٣٥٠-١٣٢٨
٢ -	التصور يوسف الاول	١٣٩٥-١٣٥٠
٣ -	الأشرف عمر الثاني	١٣٩٦-١٣٩٥
٤ -	المؤيد داود	١٣٢٢-١٣٩٦
٥ -	المجاهد علي	١٣٦٣-١٣٢٢
٦ -	الافضل العباس	١٣٧٧-١٣٦٣
٧ -	الأشرف اسماعيل الاول	١٤٠٠-١٣٧٧
٨ -	الناصر احمد	١٤٣٤-١٤٠٠
٩ -	التصور عبدالله	١٤٣٧-١٤٣٤
١٠ -	الأشرف اسماعيل الثاني	١٤٢٨-١٤٣٧
١١ -	تقاهر يحيى	١٤٣٩-١٤٢٨
١٢ -	الأشرف اسماعيل الثالث	١٤٤٣-١٤٣٩
١٣ -	المظفر يوسف الثاني	١٤٤٣-١٤٤٢
	المفضل محمد	١٤٤٣
	الناصر عبدالله	١٤٤٣
	الممؤد	١٤٥٠
	المؤيد الحسين	١٤٥٤-١٤٥١

(٢) ابن بطرطة: تيممة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (Defrémery et

ومواكلته لهم ، وترتيب ذلك .

ومن تميز انتقل الى صنعاء . ومنها الى عدن « مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم » . وكانت في إبان ازدهارها « تأتي اليها المراكب العظيمة من كُنْبَايَت ، وتأنه ، وكوِّلم ، وقايقوط ، وفندراينه ، والثاليات ، ومنجورور ، وفاكنور ، وهنور ، وسندايور ، وغيرها » . ولاحظ ان فيها عددًا من تجار الهند وتجار مصر يقيمون بها . اما اهلها « فإ بين تجار وما بين حمالين وصيادين للسك . وللتجار منهم اموال عريضة . وربما يكون لاحدهم البركب العظيم يجيب ما فيه لا يشاركه فيه غيره لسمة ما بين يديه من الاموال . ولا يبد ان يؤدي هذا النتي الى « التفاخر والمباهاة » ، ويروي الرحالة مثلاً على هذه المناقسة بين التجار في مظاهر النتي : وهي حكاية خلاصتها ان احد التجار ارسل غلامه ليشترى له كباشاً . وكان غيره ارسل غلاماً له في الناية نفسها . واتفق انه لم يكن في السوق سوى كبش واحد . فوقعت المزايدة بين الغلامين حتى بلغ ثمن الكبش اربعمائة دينار . فسر صاحب الغلام الذي اشترى الكبش ، واعتمه ، وأعطاه الف دينار لانه نصره على صاحبه . اما التاجر الثاني فضرب غلامه .

وعدا ذلك فالقوم « اهل دين وتواضع وصلاح ومكارم أخلاق يحسنون الى الغريب ويؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب . » وقد تزل ابن بطوطة على احد تجارها . فتحتق رغاء عينه وحسن ضيافته . ولكنه لم يسه عن الاشارة الى جذب المدينة وحرها ، والى بنزائنها القديمة ، قال : « وهي مدينة كبيرة ، ولا زرع بها ، ولا شجر ، ولا ماء . وبها صهاريج يجتمع فيها الماء ايام المطر . والماء على بعد منها . قريباً منته العرب ، وحالوا بين اهل المدينة وبينه حتى يعانقهم بالمال والثياب . »^{١١}

١١

كان الملك الظاهر صلاح الدين عامر الأول ابن طاهر يتولى حكم زبيد منذ السنة ١١٤٦ . فلما شعر ان الدولة الرسولية في عدن متداعية للانهيار ، بسبب ما كان بين ابنا الاسرة المالكة من الزحام على العرش ، رمى بابصاره اليها ،

رجل يعمل على إخطائها يملكه الضمير . إلا ان تحقيق هذه الامنية كان من نصيب خليفته واخيه الملك المجاهد شمس الدين علي .

ولم يحكم عدن بعد الملك المجاهد من الطاهريين الا ملكان هما المنصور تاج الدين عبد الوهاب ، وابنه الظافر صلاح الدين عامر الثاني^١ . ذلك ان جيوش المماليك الشراكسة كانت قد مشت على..السن بقيادة حسن الكردي ، احد فؤاد قانصوه التوري ، فاهتم الظافر بالدفاع ، ولكنه لم يقوَ على مقاومة الزحف ، فسقطت زبد ، سنة ١٥١٦ . فجمع ما تبقي له من رجال ، وقادهم بنفسه الى معركة حاسمة في ١٣ ايار ١٥١٧ كانت نتيجتها انه قُتل هو واخوه ، وفتحت ابواب السن امام المماليك الشراكسة . ولكنهم عجزوا عن دخول عدن .

وكان قد عجز عنها كذلك ، قبل اربع سنوات ، عمارة برتغالية اقت بطريق البحر بقيادة ألفونس دالبوكيرك . فتظاهرت في عرض المدينة ، وحاولت مهاجمة الأبرار . ولكن دون جدوى . وتلتها عمارة ثانية كان نصيبها نصيب الاولى .

وفي اواخر عهد الطاهريين ، وصل الى عدن الرحالة الايطالي الشهير فارتيا ، فقبض عليه بتهمة التجسس للبرتغاليين ، والتي في غياب السجن مدة شهرين .

بيد ان المماليك لم يستمروا طويلاً بهذا الملك الجديد . لأن جيوش العثمانيين كانت على الأثر ، يرددها زعما . اللارند . ولم يل السن من الشراكسة الا ثلاثة ولاة في سنة واحدة : الحسن الكردي ، ثم برباي . وكلاهما قُتلا في السنة نفسها ١٥١٧ . ثم اسكندر الذي اقره السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٧ ، فزاه ، بعد اربع سنوات ، كمال بك اللارندي ، اول الولاة من قبل الاتراك العثمانيين . وظلت السيادة العثمانية في السن كله ، فعلية حياً ، اسمية احياناً ، حتى السنة ١٦٣٥ . وفيها تقدمت عساكر امام صنما ، المؤيد محمد بن القاسم (١٦١٩)

١) هذه رسالة المارك الاربية الطاهريين :

- ١ الظافر صلاح الدين عامر الاول ١٤٤٦-١٤٤٩
- ٢ المجاهد شمس الدين علي ١٤٤٩-١٤٧٨
- ٣ المنصور تاج الدين عبد الوهاب ١٤٧٨-١٤٨٨
- ٤ الظافر صلاح الدين عامر الثاني ١٤٨٨-١٥١٧

- ١٦١١) فهرب الرالي المماني قانصوه باشا .

اما عدن نفسها فلم يدخلها الممانيون الا سنة ١٥٣٨ . ولكن سرعان ما خسروها ، فاحتلها زيود امام صنعا . بعد ثلاثين سنة . ثم استعادها الممانيون ، حتى خسروها نهائياً ، مع سائر مناطق اليمن ، سنة ١٦٣٥ ، كما قدمنا .

وظلت في حكم الزيود يستمد إليها السلطة من امام صنعا . حتى السنة ١٧١٩ ، وفيها انفصلت سلطنة لحج عن صنعا . فكان من ممتلكاتها عدن وسائر المناطق المجاورة .

و

وقبل ان تنفصل السلطنة المذكورة عن اليمن باحدى عشرة سنة ، وصلت الى عدن بعثة فرنسية كانت غايتها درس احوال البلاد ومعرفة محاصيلها وبضائعها ، تمهيداً لتجارة ممكنة بينها وبين فرنسا . وقد دون لاروك نتائج هذه الرحلة ، استناداً الى ملاحظات القبطان ومذكراته ، في كتاب نشره في باريس سنة ١٧١٦^{١)} . فكان من ارتقى المصادر واجمعها لوصف حالة عدن في تلك الايام . ولعلّ فرنسا رمت الى احتلال تلك البلاد ، محاولة النجاح حيث اخفق البرتغاليون قبل مائتي سنة ، على ما يذكر كايان فوكيه في «الآوستراليون»^{٢)} وقد يكون استنتاج ذلك من تمهيد الرحلة ، وفيه يرفع لاروك كتابه الى الوزير الكونت دي پونشارترن (de Pontchartrain) امين سر الدولة ، ويقول ان الوزير المذكور « وافق على مشروع تلك الرحلة وشجعها بكل ما امكن ان يؤدي الى نجاحها . »^{٣)}

ومهما يكن من أمر فان الرحلة لا تظهر رغبة الدولة الفرنسية في احتلال عدن . انا تكفي ، في قسمها الاول ، بوصف المدينة ، واستقبال حاكمها

١) La Roque, Voyage de l'Arabie heureuse, par l'Océan oriental et le détroit de la Mer Rouge. Paris, 1716.

٢) Gaétan Fouquet, Aden, porte de la Mer Rouge. L'Illustration, 21 Septembre 1940, p. 72.

٣) La Roque, op. cit., A III.

للفرنسيين ، ورغبته المُلحّة في الاتجار معهم . ثمّ تبسط في وصف بعض المدن الساحلية ، ولا سيما مُخا ، ثمّ في وصف غيرها من مدن اليمن الداخلية حتى ذمار ومرآب او حصن المراهب ، عاصمة ملك اليمن الذي استقبل الفرنسيين استقبالا حافلا في ٢٢ شباط ١٧١٢^١

وصلت المراكب الفرنسية امام عدن ، في اليوم الثالث لاقلاعها من ساحل الحبشة . ولم تكذب تلقي مراسيها وترفع العلم الفرنسي . حتى أرسل حاكم المدينة سركين يحملان الكي . الكثير من المرطبات . وفي اولها ضابط يستقبل الضيوف باسم الحاكم .

وفي صباح اليوم الثاني حيت المراكب حاكم المدينة باطلاق سبعة مدافع من كل مركب . فاجابها مدفع القلعة . وارسل الحاكم موفداً جديداً يجيئ الفرنسيين ويدعوهم الى التزول ، بينما كانت قوارب المدينة وسفنها الصغيرة تأتي جماعات تعرض « المرطبات المتنوعة » على المسافرين .

وبعد طمام النداء ، بزّل القبطان دي مريثل (de Merveille) قائد الرحلة ، يراقتة السيد دي شامپلوريه (de Champloret) ، وعدد من ضباط المراكب الثلاثة . ويحسب بنا الآن ان ندع الكلام للقائد فيصف ما شاهده في تلك الأرض التي يطأها الفرنسيون لأول مرة في التاريخ ، قال :

(١) كان ملك البحر ، اذ ذاك ، سادس ائمة ضياء ، المهدي محمد بن احمد بن الحسن الذي تزول ائمتك من ايار ١٦٨٦ الى ١٧١٦ . وكان عمره حينئذ ٨٧ سنة ، وكان مهاباً بقروح في رأسه ويده ، فشده اعرجاج باريه (Barbier) احد اعناء الوفد الفرنسي . وقدم له الوفد عدة هدايا منها رآة اعجبتة كثيراً ، فأقبل يمن فيها انتشر ؛ وتداولها افراد اعاشية من بيده كلّ يتبع ناظره بسمات وجهه . واطهر الإمام رغبته في عمالقة ملك فرنسة ، او على الأقل ، في ايجاد علاقات تجارية دافقة بينهما . ثمّ طلب من الوفد ان يرسل اليه ملخص تاريخ ملك فرنسة ، وصورة قصره ، واذا امكن ، صورته وصور افراد الاسرة المالكة . وتلطف فاهدى الي ملك فرنسة . . . كيبس من البنّ المستازر أسر بايصالها الي مرفأ ويقول اعناء الوفد ان الإمام تزوج وهو في السابعة والثمانين . وشاهدوا ، في قصره ، سفيرا غنائيا اتى لعقد اتفاق بشأن تجارة البنّ ، مما يدلّ على اهمية هذا الصنف منذ ذاك العهد .

« صادفنا على الرصيف عدداً من الرجال الملحين - فقادونا الى الباب الذي يدعونه «باب البحر الكبير» لانه كبير مشجه نحو البحر. وكان واقفاً امامه فرقة من الحرس. وقد لاحظت ، في اثناء مرورنا ، ان الباب عظيم الهامة ، مكوّن الظاهر بالماسير الحديدية الكبيرة ، مستند من الورا. الى قضيب ضخّم من الحديد ، زيادةً في متانته .

« دخلنا من هذا الباب الى مكان معقود. وبعد ان سرنا خمس عشرة خطوة وجدنا غرفة معقودة كذلك ، تنتهي بزاوية . وهنا استقبلنا رئيس الميناء ، وهم يدعونه « امير البحر » ونحن نسيه « ميربار » (Mirebar) . فاحتفى بنا ودعانا الى الجلوس على كرسي غريبة الشكل . ثم سألنا من اين جئنا ، وما الغاية من سفرتنا . ولكن الحديث كان مختصراً ، لأن هذا الموظف كان قد اعلم الحاكم بتقولنا ، فوصل امره باستدعائنا اليه .

« خرجنا اولاً من باب حديدي يقفل هذا المكان ، ويقود الى باب آخر ذي اضلاع خشية . وكنا نمتي بين صفين من السكر ، وامامنا وورائنا عدد من الجنود كذلك . اما « امير البحر » فكان الى يارنا حتى وصلنا الى قصر الحاكم .

« صعدنا اليه في سلم جميل ، فوصلنا الى اليبه الاعظم . واذا بالحاكم جالس في صدر قاعة منه ، على منبر مكوّن بالسجاد النفيس ، وهو مستند الى وسائد مطرز قماشاً بالذهب . رحاشيته الى اليمين والى اليسار معطّقة على السجاد . اما سائر القاعة فقروش بالحصر الدقيقة الصنع .

« وصلنا الى منبره دون ان نخضع احذيتنا، وهذا امر لا يسح به عادة لأحد . وبعد ان جئناه، مد لنا يده ، ودعانا الى الجالس ، بواسطة ترجمانه ، وهو موقد برتغالي الأصل .

« بدأ الحاكم ببعض اسئلة عامة تتناول بلادنا ، ورحلتنا. ثم أكد لنا حمايته في مناطق ولايته. وقدّم لنا القهوة السلطانية. وتلطّف فاعلنا بأنه امدر اوامره في اعداد منزل لنا . وبما انه ليس من العادة ان يُتحدّث في الشؤون الصلية ، في المقابلة الاولى ، استأذناً وانصرفنا بعد ان كرّرنا تعابير شكرنا ووعدهنا بالرجوع

الى زيارته في اليوم الثاني.»^١

ثم قادم امير البحر، بالترتيب نفسه، الى بيته الخاص، وهو المنزل الذي أمر به الحاكم. ووصفه القبطان بأنه بيت كبير جميل الظاهر. الا انه ليس فيه من الاثاث الا الحصر تُستعمل للنوم والجلوس والأكل، فتقوم مقام الأسرة، والكراسي، والموائد. وقد أُتوا في المساء بعدد من الشروع دون شاعدين. فتمشوا وقضوا ليلة سيئة. وهو ما استغربه «امير البحر» عندما بكر، صباح اليوم الثاني، مشتملاً عن راحتهم، وكان قد رتب الحرس حول المنزل، حتى لا يزعجهم احد بضجيج او صراخ. فاجابه القبطان بكل بساطة ان سبب اتزعاجهم كان انهم لم يتعودوا النوم على مثل هذه الاسرة الوثيرة. فتيتم امير البحر ابتسامة خفيفة لاحتظها القبطان ودرنبا مهتماً، لأن هولاء القوم، كما يقول، «هم من الرخافة والوقار بحيث لا يكادون يضحكون ابداً ضحكاً عالياً.»

وعادوا الى زيارة الحاكم. وما كادوا يصعدون السلم، حتى ترأعهم نساء القصر وراء النوافذ، ينظرون من خلال المشبكات الخشبية الى الغرباء. واستقبلهم الحاكم بالترحاب، ملحاً عليهم بالاتجار مع قومه. وكانوا قد اهدوا اليه انسجة من الارجوان وعدداً من البنادق. ثم زاروا ضابط القلعة المطلّة على البحر، واهدوا اليه قاشاً من الجبوخ وبنديقتين.

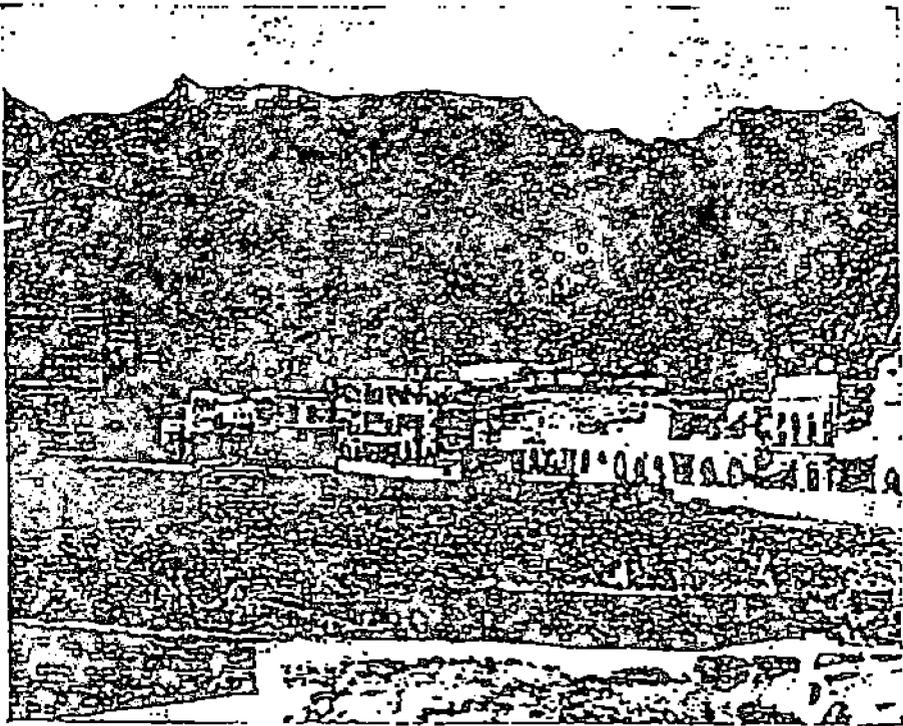
وأصيب الحاكم بألم في معدته. فوافدوا اليه طبيب الرحلة السيد لا لمارديير (La Lambardiere) فعالجه وشفاه، بعد حوادث متعددة يطول بنا شرحها. وعالج غيره كذلك من سادة العرب في عدن.

ولم يعرف بوصولهم جماعة «البيان»، وهم ساسرة هندية الأصل ينشرون في السواحل العربية، حتى لحقوهم يروضون عليهم البضائع المختلفة.

وكان الحاكم، بعد ان استعاد صحته، يبذل جهده في حملهم على الاتجار مع مدينته. الا ان بضائهم كانت قليلة. وكانوا قد سمعوا بازدهار التجارة في مِخا. فلستأذنوا في السفر، فزودهم بكتاب توصية الى اخيه، حاكم مِخا. وتركوا مينا.

عدن في ٢٧ كانون الاول ١٧٠٨

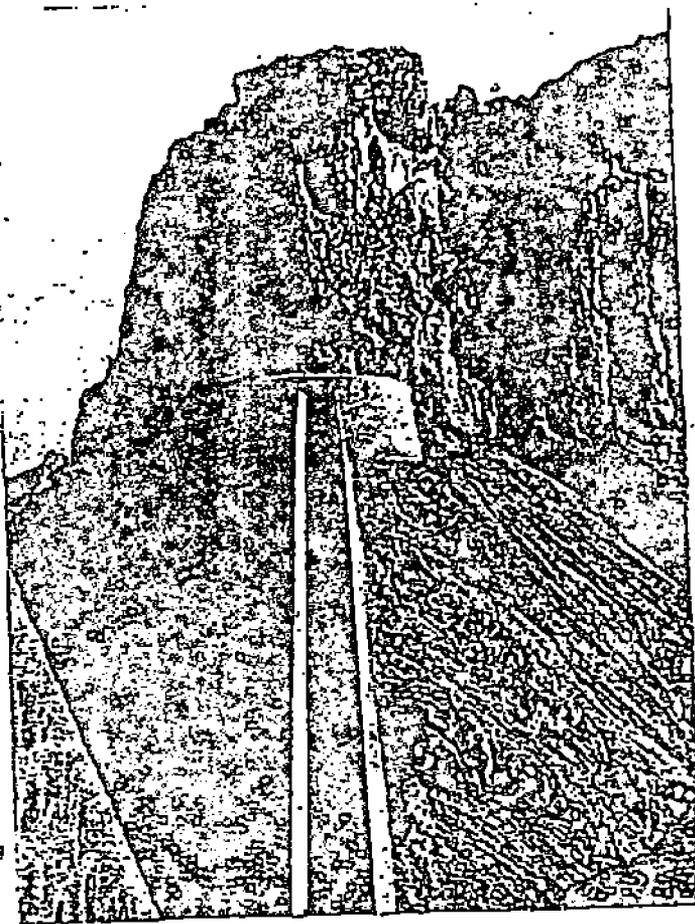
وكانت مُنْخاً واسع تجارة من عدن اذ ذاك. فقولها مدة. وعقدوا معاهدة مع اليمن وقعتها في ١٦ كانون الثاني ١٧٠٦ و ٣٠ ذي القعدة ١١٢٠، القبطان دي مرثيل، مدير «الشركة الملكية الفرنسية»، وحاكم مُنْخاً، الشيخ صالح بن علي الحلبي، اخو حاكم عدن السابق الذكر، والذي صار فيما بعد وزير إمام اليمن. وقد نصت المعاهدة على كيفية تبادل البضائع والاساليب التجارية بين البلدين، كما نصت على ان يدافع كل فريق عن الآخر في حالة الخطر^١.



(تصوير الاب تشارل)

عدن تحيط بها الجبال

اما عدن فيحدها القبطان بدقة، ذاكراً «انها تقع في الدرجة السبعين من الطول، والثانية عشرة من العرض»، وفقاً لجداول ابي الغداء. وهي تتربع على اقدام جبال شاهقة تحيط بها من جميع الجهات تقريباً. وفوقها خمسة اوستة حصون، وغير



ذلك من
مُنشآت
الدفاع في
بغداد
الجيل .
وعلى نحو
ربع ميل
من المدينة
خزان الماء .
تتجدد اليه
من شباب
الجيل فيمد
كان
المدينة بالماء .
المدن .
وليس فيها
سواه .

منظر التحصينات فوق الممر المهم
(عن «الانوسفرازيون»)

يذكره جغرافيوننا - ولا اعلم الى اي سند يستندون - اذ يجامون نهراً يجترق
المدينة .

« ويحيط بموقع المدينة سور سي: الحائلة في عصرنا ، ولا سيما من جهة
البحر - على ان فيه ، من هذه الجهة ، بعض المسطحات تعاورها مدافع من الفولاذ
يبلغ عيار بعضها الستين ليبرة . ويقال انها من بقايا المدافع التي تركها سليمان
الثاني الذي دخل المدينة واحتل معظم البلاد . ثم اضطر الاتراك الى تركها
فاستادها امراء العرب .

« وليس للأصل الى عدن من جهة البرّ الأ طريق وأحد ضيق يتقدم نحو البحر في شبه الجزيرة . ووأس الطريق يقع تحت حصن يحويه حرس منظم وعلى رمية مدفع من هذا ، حصن آخر فيه اربعون مدفعاً من العيار الكبير موزعة في عدة بطاريات . وفيه حامية ممتدة حتى انه يبدو مستحيلاً اخذ المدينة من هذه الجهة . وبين هذا الحصن والمدينة حصن آخر فيه حامية لديها اثنا عشر مدفعاً .

« اما من جهة البحر ، حيث لا يصعب اخذ المدينة ، فينتقم الخليج المتسع على ثمانية او تسعة اميال ، تسعين غير متساويين ، يقرب اصغرهما من المدينة ، وهو الرفأ . وسعته نحو الميل ، من القلعة القائمة فوق البحر والمسلحة بخجين مدفعاً الى الرأس المتقدم المتسللة عليه الحصون التي اشترت اليها سابقاً .

« ولا اقول شيئاً عن داخل المدينة . وهي كبيرة لا يزال يرى فيها المسافر عدداً من المنازل الجميلة ذات الطبقتين والسطوح المنبطة . ولكنه يرى كذلك كثيراً من الأخرية والأكواخ . فيتهم بالاستناد الى هذه الآثار ، والى موقعها الممتاز ، ان عدن كانت فيما مضى مدينة عظيمة ، حصينة ، وافرة الاهمية ، بل كانت اهم مراسي بلاد العرب العبيدة .^{١١}

وكان القبطان قد زار السرق فرأى فيها « جميع البضائع معروضة سرقة في دكاكين مصفوفة على طول عدة شوارع ضيقة ؛ وكانها معروضات سرق سان جيرمن » .^{١٢} اما اصحاب الحركة بيماً وشرا . في هذه السرق نهم البنيان ، اولئك الساهرة المنود الذين ذكرهم سابقاً والذين لا يزالون حتى يومنا في عدن ، يقبضون على موارد التجارة مع اليهود . ولم ير القبطان في سرق عدن امرأة واحدة . ولا بد من كلمة عن حمامات المدينة في ذلك العهد . وقد اقر القبطان بانه « لا يمكن ان يرى اجمل منها في نوعها . كلها مفروشة بالرخام وبالصب ، مكحلة بقبب شائقة مخينة ، مزدانة باروقة تستند الى الاعمدة الجميلة . وجميع غرفها

La Roque, *op. cit.*, pp. 62-64. (١)La Roque, *op. cit.*, p. 55. (٢)

وخلواتها مرتبة ، مقبية ، تعود كلها الى الردهة الفسيحة ذات القبة الكبرى .^(١)

٥

هذه حالة عدن قبل ان انفصل سلاطين لحج عن إمامة صنعاء ، سنة ١٢١٦ . ولم يلبثوا ان استولوا على عدن فجعلوها طليعة حواضرهم ، على مدة تجاوزت القرن . وتعاقب عليها منهم اربعة سلاطين ، حتى ردى الانكليز بانظارهم الى ذلك المركز المهم للملاحة التجارية والحربية ، فمقدوا سنة ١٨٠٢ ماهدة اولى تجارية ولائية مع رابعهم ، السلطان فضل الثاني او فضيل بن عبد الكريم (١٧٧٢-١٨٢٧)^(٢) . إلا ان السلطان الخامس محسن بن فضل لم يرتق العرش حتى تقضى الماهدة . فسيكت الانكليز على مفض طول عشر سنوات .

وكانت نهضة محمد علي في مصر ، وطموحه الى ما وراء حدود بلاده . وكان احتلال جيشه لهامة اليمن ، وتقدمه نحو عدن . فقلقت بريطانيا . وانذرت والي مصر بوجود التخلي عن بلاد العرب ، بينما كان سفيرها في الاستانة يتال من السلطان عبد المجيد ، فرماناً يحول الانكليز حق الاتجار في الممالك اليمانية ، وحق استخدام عدن مركزاً تجارياً لهم^(٣) .

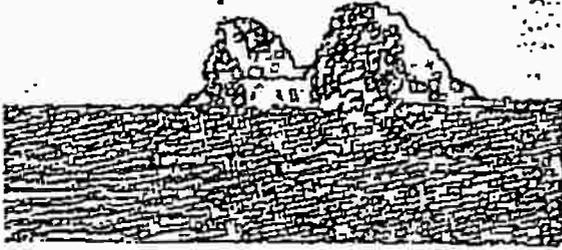
اما صاحب عدن سلطان لحج ، محسن بن فضل ، فازدرى الفرمان ومطيه . واما الانكليز فحاولوا ان يطلبوا تعويضاً منه عن مركب شرابي غرق في مرفأ عدن فنهب الأعراب . ولما رفض طلبهم ، أمر قائد البعثة ، التبشان ستانورد هنس (Haines) بضرب المدينة . فأطلقت عليها المدافع في ١٠ كانون الثاني ١٨٣٠ وبعد مناوشة برية قصيرة سلت المدينة ، وانتهى الخلاف بماهدة بين السلطان محسن والانكليز . احتل هولاء بوجها قسماً من المدينة يدعى «التواهي» . وكانت عدن قد ساءت احوالها ، وانحطت اهميتها ، حتى ان كتابها لم يكونوا يلبثون ، عند وصول الانكليز ، إلا سبائة نفس يقيم اكثرهم في

(١) La Roque, *op. cit.*, p. 57.

(٢) كذا في E. de Zambaur, *Manuel de Géographie et de Chronologie pour*

(٣) *La Histoire de l'Islam*, p. 130 الى بيجاني فيجمل اسم هذا السلطان أحمد (اوركا العرب: ٢٥٨)

(٤) الريماني: الكتاب المذكور ٢٥٢:



من منازل المبادين في خليج عدن

اكواخ قشبة ، ويعتاشون
بصيد الأسماك^(١) .

على ان العرب حاولوا
مرات ان يترجروا عدن
من الانكليز فام يفلحوا .
وكان الانكليز ، بالقوة
حيناً ، وبالافتاق ودفن
المشاهرات احياناً ، يوسون

حدود مستمرتهم ، ومناطق نفوذهم ، حتى استقرت الاحوال في نحو السنة ١٨٦٧ .
اماً سلطنة لحج نظلت حية ، إلا انها انكسرت على نفسها بعض الشيء ، وانتقل
سلطانها من عدن الى الخرطة ، وجبل الحد بيننا وبين المستعمرة الانكليزية بلدة
دار الأمير ، بعد ان اشترى الانكليز بلدة الشيخ عثمان فضموها الى عدن .
وتوالى السلاطين مرالين للانكليز حتى اليوم . وقد زار امين الريحاني ، سنة
١٩٢٢ ، سلطانهم الحادي عشر ، عبد الكريم بن فضل ، فلقني عنده كل حفاوة^(٢) .

(١) Encyclopédie de l'Islam, I, 134 ؛ الريحاني : ك. م. ١٠ : ٢٥٢

(٢) وهذه فم بلي سة - فطين خبيج ، اخذت قسماً منها عن زباور ، كما اخذنا
السجل السابق . واتقنا ما عن الريحاني :

- ١ - فضل بن علي ١٧٢٧-١٧٤٢
- ٢ - عبد الكريم بن فضل ١٧٤٢-١٧٦٢
- ٣ - عبد اعادي بن عبد انكريم ١٧٦٢-١٧٧٧
- ٤ - فضل الثاني بن عبد الكرم ١٧٧٧-١٨٢٧
- ٥ - محسن بن فضل ١٨٢٧-١٨٤٦
- ٦ - احمد بن محسن ١٨٤٦-١٨٤٨
- ٧ - علي بن محسن ١٨٤٨-١٨٦٥
- ٨ - فضل الثالث بن علي ١٨٦٥-١٨٩٥
- ٩ - احمد بن فضل ١٨٩٥-
- ١٠ - علي بن فضل ١٩١٥-
- ١١ - عبد الكريم بن فضل ١٩١٥-

واخذت عدن ترتقي وتتقدم بفضل النظام الجديد حتى اصبحت اليوم مدينة كبيرة ، ومحطة تجارية ، وحرية ، وبقية ، في اعلى درجات الخطورة . ويجدر بنا وقد ثمرنا وصف ابن بطوطة لمدن القرون الوسطى ، ونقلنا وصف قبطان البثة الفرنسية في اوائل القرن الثامن عشر ، ان نلخص وصفاً معاصراً للمدينة الجديدة . قال امين الليجاني ، سنة ١٨٢٢ :

« ان المدينة تُقسم قسمين : عدن الفحم ، والحصون ، والياسة ، وتدعى التواهي ، وعدن التجارة والموبقات وتدعى كب اي المسكون في الاولى ، وهي على الشاطئ ، دار الاعتدال ، والقنصليات ، وبيوت الضباط والمتوظفين ، والاتزال ، وبعض المخازن التي تُباع فيها بضائع الشرق والغرب الرديئة باسعار غالية . وفي الثانية ، وفي وادي الجبل على مسافة خمسة اميال ، في نم البركان ، او ما كان بركاناً في قديم الزمان ، وفيها اربعون الفاً من السكان من كل شعوب الارض والاديان . فيها المسلم . . . والفارسي . . . والبيبا . . . والمسيحي . . . والاسماعيلي . . . واليهودي . . . »

« كل هؤلاء يتأبرون ولا يتأفرون ، ويربجون ولا يفاخرون . اما يبرتهم فواحدة لا تُعرف اعرابية هي ام هندية ام اوردية . واما اديانهم فهي كالأشجار والادغال في الغاب ، وهم في ظلالها لا يتنبؤون ولا يتطورون . . . »^{١١}

ثم يصف الكاتب وصفاً شعرياً ما يسميه « التلوت المادي » اي . ونسأت البرق ، والنور ، والبخار : عرش البرق في رابية مركز التلراف ، وعرش النور على منارة عدن ، وعرش البخار على ركام الفحم المتراسة فوق الشاطئ .

« ما هنا اذن في اسلاك اليرق ، وفي اسباب البخار اهمية هذه الزاوية الجنوبية من البلاد العربية . ومما هو ان اساس الاتنين العلم والاجتهاد . وسياس الاتنين الأمن والنظام . يستطيع سلطان لحج او إمام صنعا ان يوجد الأمن والنظام ويؤتدهما في عدن ؟ أو يستطيع اذا فُرض اليه امرهما ان يحافظ عليهما ؟ لا أظن ان احداً من ابنا العرب ، مهما صفت وطنيته وكبرت همته ، يجيب اليوم بالإيجاب . أو يستطيع العالم اليوم شرقاً وغرباً ان يستني عن البرق والبخار ؟

لا اظن ان رجلاً عاقلاً يجيب بالايجاب . وهل يريد الشرق ان يتل كل الاستقلال فيقطع الصلات كلها بينه وبين الغرب ؟ لا اظن ان احداً من الشرقيين مهاغلي بالوطنية يجيب بالايجاب .

« لا بد اذن من البرق والنور والبخار في عدن . ومن يد تدبرها وتحافظ عليها ونحسها . واليد اليوم انكليزية . وقد تكون غداً يابانية او عربية . لكن الغد قد يهمننا اليوم وبهم العالم اجمع ان تبني هذه المحطة الكبيرة ، هذه الصلة المهمة ، في كنف الأمن والنظام . ولو كان في ذرة من اليقين ان الامام يحيي يستطيع ان يقوم . تمام الاتكليز لا فضلت احداً وطنياً كان ار اجنبياً عليه . »^١
ذلك ان الامام يحيي كثيراً ما اشهى الوصول الى عدن وإلحاقها بمملكته .
« كيف لا وقد كانت في الماضي زينة بلاده . . . انا عو يعلم ما يعترضه من العقبات . ولكنه لا يعلم ، على ما اظن ، ا. للامم الشرقية والغربية في عدن اليوم من المصالح التجارية والمالية ، وقد اصبحت من اهم مراكز الاتصال بين الشرق والغرب . »^٢ وقلنا يفيد في هذا الطرح حماسة جنوده وتواده وهتافاتهم : « نشتهي عدن — دعنا تحف على عدن فنأخذها بعشرة ايام . »^٣

ولا يسر الريحاني عن نظرة الى الشؤون الاخلاقية والصحية في عدن ، فينتقد مظاهر الرهبانات ، ولاسيا في الشيخ عيّن^٤ ، ويرغب الى الاتكليز في الاهداب بما فيه تمييز البلد وصحة اهله في اجسامهم وعقولهم — المحافظة على شي . من الروح العربية — مدارس تمام الناشئة لتتبعهم وآداب بلادهم — ١٠٠ — يصلح للشرب . . . حتى على الاتكليز في عدن خمس وثمانون سنة ، وهم لا يزالون يستخدمون الاثان والقربة لرش الاسواق^٥ . وهنا ينتقل ملاحظة للكارتيل هارلد جاكوب الاتكليزي في « كتابه ملوك العرب » تؤيد كلامه فيقول : « المرافق في عدن لا تزال على الطراز القديم والملا . ، وهو الح ، بحر من بند في شيخ عثمان

١) الريحاني : ك . م . - ١ : ٢٤٥ - ٢٤٦

٢) الريحاني : ك . م . - ١ : ١٥٣ - ١٥٤

٣) الريحاني : ك . م . - ١ : ٢٥٦

٤) الريحاني : ك . م . - ١ : ٢٤٦ - ٢٤٧

ريوزع بدياميل تجرها الجمال. والطرق، وهي دائماً في حاجة الى الاصلاح والانارة، لا تزال على الطريقة القديمة. اما عذر الحكومة في ذلك كلفه فقلة المال.^(١) اما الماء، فقد صلحت حاله بعد عهد الريحاني وجاكوب. فانشأ الانكليز مضخات كهربائية في الشيخ عثمان منذ السنة ١٩٣١. واما المدارس والحركة الثقافية اجمالاً فلا نعرف عنها شيئاً يذكر، سوى ما يُستنتج من بعض المنشورات الصادرة عن عدن أنّ فيها مكتباً للنشر^(٢)، وقد يكون فيها مطبعة كذلك. أما الرقي الاجتماعي فلا يزال مطرداً في المدينة. اتّمت الشوارع الجديدة في التراهي، التي يدورها الانكليز Steamer Point، واستقامت منفرجة على شكل اضلاع المروحة، حتى تتصل في المنطقة المركزية Crescent، مثل السراة من قلب عدن. وأصبح المسافر يقتبط بغي. الشجر في تلك الساحة، وان لم يتجاوز عددها العشرين نخلة - وهي الوحيدة في شبه الجزيرة جمعا - تظلّل بسعها المنتشرة شمال الملكة فيكتوريا، وتفتدي اصولها بالمياه التي كان الانكليز يستقدمونها، على مدة طويلة، بالمراكب من السويس.^(٣)

وزاد عدد السكان زيادة هائلة في مدة قرن. اذ انتقل من ستمائة، سنة ١٨٣٩، الى ٤٤ ألفاً سنة ١٩١٣، الى نحو الحين ألفاً سنة ١٩٣١ من مختلف الألوان والاديان والاعادات^(٤)؛ منهم نحو سبعة آلاف هندي، واربعة آلاف يهودي، ونحوهم من الصوماليين، والاحباش والسودان، والصينيين. يُضاف اليهم نحو ثلاثين الف عربي، يضطربون في فم البركان، او عدن القديمة (Crater)، متقلّبين في حرارة مذيبة، لا يبتعدون إلا بتجاراتهم، وحفظ مستودعاتهم الحازنة اثن الكنوز في بلاد العرب السعيدة. من الصنع، والبحر، والبن،

Jacob, *Kings of Arabia*, p. 263. (١)

(٢) من منشورات هذا المكتب كرأس بعنوان: احداث العرب، سن م يا ترى؟ طبر في ٢٠ شباط ١٩٢٠

Gaétan Fouquet, *op. cit.*, p. 70. (٣)

(٤) أجري الاحسا. الاخير في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٣١ في عدن وهرم - الجزيرة العنبرة في - مدخل باب المنب - فبلغ كتابها ٥١ ألفاً، ٣٢ ألفاً من الذكور و١٩ ألفاً من الاناث. *Annuaire statistique de la S. D. N.* 1937-1938, tableau 2.



من سكان منطقة عدن

(تصوير الاب شارل)

الى جلود الجاشة، وحرار العين ،
ونمار جاوى . لا يبالون بما يلاقونه
من غرائب المصادفات في تلك
الشوارع الضيقة المتشابكة ، التي
قد تصطدم فيها السيارات الاميركية
الفخمة بقطبان الماعز ، وجاعات
الحُر الناقله الماء ، وقوافل الجمال
الحاملة محمولات اليمين وحضرموت :
ولا يهتم ما يعلق بوجسومهم
وابديهم من الذباب الضخم الموالي
الطين ، وما يعلق بشعورهم من
الغبار الشاز ، ولا ما يذغدغ
خيائسهم من طيوب الشرق
معلّية الحراء ، ناشرة في اختلاط
عذب ، عَرَفَ الياسين ، والبجور ،
والند ، والبهار وسائر الافاويه .

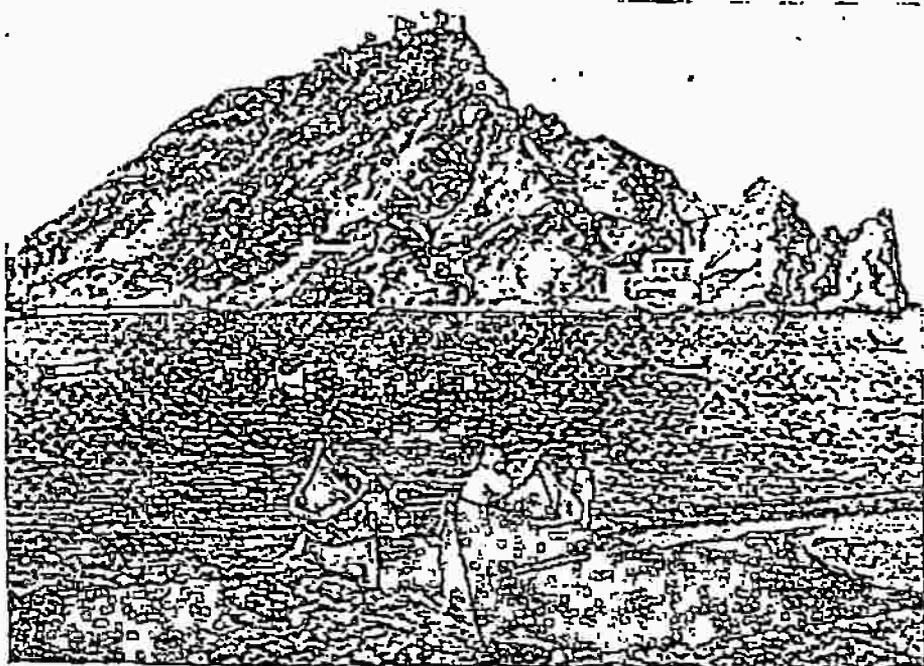
هي المدينة التجارية ، غاية القوافل البرية في جنوبي الجزيرة ، ومحطة
القوافل البحرية من القرب الاقصى الى الشرق الاقصى ، سواء أقطعت فارس
والهند ، ام افريقية الشرقية والسويس واوردية ، ام سنافورة واوسترالية
واليابان ، ام مدغقر والكاب ، تسهل مرور البضائع المتنوعة بالمقادير الضخمة ،
وتختص باصدار القهورة النفيسة ، تشحن منها كل سنة نحو الحين الف كتال ،
ويبلغ رقم تجارتها السنوي ١٧,٨٠٠,٠٠٠ من الدولارات الذهبية استيراداً ،
و١٠,٨٠٠,٠٠٠ اصداراً^(١)

واذا تخلص المرء من هذه المدينة التجارية ، شاهد على الشاطئ الالوف
المكدسة من عظام السك ، وهياكل الاصداف ، وبالقرب منها ، متجاورتين ،

مقبرة فيحة ، وساحة للالعاب الرياضية^(١) .

اما تحصينات عدن الحالية فلا تقاسب روعة مظهر وعمق تأثير ، مع تلك الحصون والقلاع القديمة التي وصفها قبطان البعثة الفرنسية و اشار اليها الريماني . وذلك ان ساحة المدينة اليرم يرون ان الطيارات الرابضة في خور مقصر ، وسط البرزخ الجامع بين عدن وشبه الجزيرة العربية ، كافية للدفاع عن الموقع . يردفها عند الحاجة بعض الكتاب من الجنود الانكليزية في مكنت التواهي ، وفيلتان او ثلاثة من المنود البنجاليين في قم البركان ، ونحو الالف من الجنود العرب يرابطون في مضيق خور مقصر .

واما هل تكفي هذه التحصينات لدرء المخاطر عن تلك النقطة الحيوية ، فما يحكم فيه المستقبل !



جزيرة سبراه ، شرقي عدن ، وما فيها من تحصينات (عن «اللوسترايون»)

(١) راجع في ذلك Gaétan Fouquet, *op. cit.*, p. 70